باب الجهل والأدب

نادي المدارس العليا — مثال لطفولية الأمة

نبينا القراء في بعض السنين السالفة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها الاجتماعية التي ولدت فيها الامة ولادة جديدة ، بعد أن أماتها الاستبداد قرونا عديدة ، وهي لا تزال في طور الطفولية ، بما تقلد فيه الشرائع والكهول من الامم الحية ، ومما تلحزت له القاهرة من فوائد التقليد إنشاء الأندية ، أنشأ قوم ناديا فاقام الاوسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكاتبون ، وأظهر الرغبة فيه الراغبون ، حتى كان منذ سنين ، أن جمعت أموال ووضعت قوانين ، ولكن أعيد المال الى أربابه ، قبل ان يخرج الامر من اهابه ، وقد أعيدت الكرة في العام الماضي فكانت الاستعداد أتم ، والداعون أنهض بالعمل وأعلم ، وما الداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية بمصر وأوربا وما المدعون الا أمثالهم بالفعل أو بالقوة .

تمخضت الدعوة فولدت (نادي المدارس العليا) وخصوا العليا بالطب والحقوق والهندسة وقسم المعلمين العالي أي الافرنجي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دار العلوم » والأزهر . وقد دارت المناظرة في هذا الاخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين في هاتين المدرستين دون المتخرجين في تلك المدارس الأربع وأدنى منهم ! !

قرأنا وسمعنا كثيرا من المقالات التي كتبت والمباحثات التي دارت في الدعوة الى تأسيس النادي وما يتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن لكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط ونصارى سوريا أو عاما لكل أهل الملل فرارا من التعصب ، وكحظر الخوض في المباحث الدينية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي ؛ قرأنا وسمعنا ولكننا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لانا رأينا التيار مندفعا الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

كان مما سرنا من مواد قانون النادي حظر الخمر والميسر على اهله فيه وان قرن ذلك بحظر المباحثات الدينية والسياسية . ولكننا لم نلبث أن رأينا ان مجلس ادارة النادي قد نسخ حظر المنكر وهو الخمر فأباحه وأحكم حظر المعروف وهو المباحث الدينية والسياسية وأصر على تحريمه فساءنا ذلك وأحزننا اذ صار النادي شراً من بيوت اللهو المعروفة بالقهاوي والبيرا (البيركلل والبارات مواضع شرب البيرا وغيرها من الخمور) لأن هذه البيوت لا يحظر فيها المعروف من المباحث الدينية والسياسية التي هي أرقى المباحث وأعلاها . وما زاد في أسفنا وغمنا تعليلهم إباحة الخمر بكون أكثر المشتركين لا يصبرون عنها وما توقعه من إفساد التلاميذ المشتركين في النادي بسوء القدوة فانهم اذا رأوا من يعلمونهم أرقى الامة علما وأدبا يأتون في ناديهم المنكر فانهم يقتدون بهم في ذلك طبعا فكان أغنى التلاميذ عن هذا النادي لو تبصر أولياؤهم

بينا نحن في ألم خيبة الأمل في النادي واذا بمجلة المجلات العربية قد وافتنا باثنتين وعشرين صفحة عن النادي فيها من الافراق في الاطراء ما كان حاملا لنا على كتابة هذا الفصل ، وانه لقول فصل وما هو بالهزل ،

قالت مجلة المجلات في فاتحة كلامها : «اذا ذكرنا الأعوام الاخيرة فأننا نذكرها بهجين جذلانين لانا شاهدنا فيها قبسا ما نعلم أن بات أخيراً نار هدى ونعني بذلك هذه النهضة العلمية الأدبية التي بدت مطالعها منذ اعوام وظهرت اليوم في كبد سماء المجد بدرا كاملا يرسل ضياءه اللامع الى جميع الأنحاء فتسر به النواظر ، وتقر له الخواطر ، وانا لا نريد اليوم ان نشرح للقارئين تفاصيل هذه النهضة السامية فليس هنا مقامها الآن ولكننا بدأنا بها تمهيدا لما سنورده من الكلام عن الناشئة العصرية التي يتألف منها شبان اليوم وزهرة مصر في هذا العصر

«لقد قام شبان اليوم بأعمال جمة دلت على ذكائهم واقتدارهم ، أعمال يؤخذ من مجموعها أن في سويداء وادي النيل رجالا أكفاء لكل عمل مجيد وان سماء مصر يستظل بها كثيرون من الذين نبغوا في العلم والفضل والذكاء »

ثم ذكر مسألة انشاء الاندية وقال أنها «احدى كبريات المسائل» وذكر

ناديا أنشئ، وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد وقل

«وقد أيدت الناشئة المصرية هذا الأمر الطبيعي ونفضت من الأذهان ذلك الاعتقاد الذي يعده الكثيرون حجة مسلمة لاجدال فيها وهي أن المصريين شعب مكسال لاحياة أدبية له وأنهم قوم صدق فيهم قول القائلين « قد اتفقوا على ان لايتفقوا واتحدوا على ان لايتحدوا » ولكننا نحمد الله لأن شبابنا قد ضربوا ذلك الاعتقاد ضربة جعلته هباء منثورا وأمرا بعدعين

«واقد يتساءل الناس عن العمل الذي قام به شبابنا حتى صح ان يقال فيهم ما قلناه اليوم. سؤال لانرى جوابا عليه أبلغ من القول ليقصد كل امرىء نادي المدارس العليا ليشاهد بعينه اتحاد الكلمة وقوة الاتحاد والزهرة اليانعة التي تملأ القلوب غبطة وسرورا. ذلك النادي الكائن في أعظم احياء العاصمة بجوار فندق (سافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويتزعم بذكره ذلك النادي الذي خصصنا للكتابة عنه غالب صفحات هذا العدد. ولا بدع في ذلك لأنه غرس أيدي شباب في مقتبل العمر في حين أنه كان المنظور أن لايقوم به الا الكبراء وسراة الاغنياء ولكن ناشئتنا برهنت على أنها قوة عظمى تحطم في سبيل ارادتها كل عقبة كؤود، وتدوس بقدميها الشوك الذي يعترض وصولها الى ذاهي الورود»

ثم أفاض في الكلام عن كيفية تأسيس النادي وفوائده وذكر ما كان من مساعدة الحكومة وكبار المحتلين له ومن ارتياح الامير له اذ جعل ولي عهده مشتركا فيه ونشر قانونه برمته وقال في خاتمة الفصل

«ومسك الختام لهذه الجملة المطولة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادي الى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دامغة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل اننا أمة حية لا ينقصنا القيام بكبير الأعمال الا الارادة وطرح الضعف جانبا فمتى اعتمدنا على عزيمتنا تمكنا من الوصول الى كل غاية نطلبها بلغنا الله ما نشتهيه من طيب الآمال بمنه وكرمه» اه

الله أكبر. ماهذا النادي الذي كبرته مجلة المجلات هذا التكبير، وخصته

هذا التفخيم ، وجعلته البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى ، وهمة عليا ، قد ذللت بهما نابتنا كل صعب ، واستهانت بكل خطب ، وانتاشت الأمة من أسفل السافلين ، فعرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الأمم العزيزة أو سمتها ، فان لم تكن سمتها فقد ساوتها ، اكان هذا النادي فتحا مبينا ، أم كان استقلالا للبلاد عزيزا ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجورا ، وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد أن يجذب اليه المهاجرين له بإعلاء ذكره ، وتعظيم قدرهم بقدره ، اذلا يجهل مثله أنه ناد قد خلت من قبله الاندية فاملأ منشئوها موانئهم فخرا ، ولا ادعوا أنهم تجاوزوا السماكين عزا وقدرا ، ولعل هذا هو الأقرب فاننا لم نكد نتم قراءة ما كتبه في مجلته حتى وافانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيد لما سمعنا من بعض المشتركين

(الى صفوة الشبيبة المصرية)

جاءنا هذا الكتاب بوجه كاتبه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضاء نادي المدارس العليا وهو بعد الديباجة

قامت قيامة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد انشئ بعدا كتاب المكتتبين واشتراك المشتركين لكن يظهر ان القوم لم يألفوا الاجتماع بعد . فهم مشتتون على القهاوي والبارات ولا يمرج على النادي من المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع اليدين ويحتج بعضهم ببعد المكان عن وسط البلدة والبعض بحرارته . والبعض الآخر بوجود أصحاب معهم لا يسمح قانونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع عديدة جئت أختلف أنظار حضرات القائمين بادارة النادي لتلافي ذلك على قدر الامكان خصوصا فيما يتعلق ببعد الشقة وقيمة الاشتراك وأرجو من سعادتكم نشر هذا بالجريدة　　(دكتور . ر)　　مصر في ١٦ يونيو سنة ٩٠٦

(المنار) علم مما تقدم اننا ننتقد من هذا النادي عدة أمور

(١) وجود التلاميذ فيه ولا بسط هذا الفصل بيان ذلك بدلائله

(٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار العلوم) كمدرسة المعلمين الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غمص للعلوم العربية وما من متخرج في مدرسة من المدارس العليا الا هو تلميذ للاساتذة المتخرجين في دار العلوم وان قوما يغمصون لغتهم وأساتذتها لا يرجى للامة خير في اجتماعهم بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الازهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد الاجتماع في الاندية تقريب طبقات الامة بعضها من بعض لا سيما الطبقات العالية المحترمة وعلماء الازهر في مقدمتهم ولا محل هنا لشرح ذلك ولا شك ان علماء الازهر وأساتذة دار العلوم أبعد في مجموعهم عن المنكر وأقرب من الاستقامة والأدب من مجموع المتخرجين في المدارس العليا فوجودهم في النادي مزيد كمال في آدابه

(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكان ينبغي منع البحث في الطعن بالأديان وكل ما يلقي العداوة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أو مقاومة المحتلين أو الحكومة واباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) اباحة الخمر بعد منعها وهذا كبر عار على النادي من وجهين ظاهرين

(٥) سرعة ملل المشتركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاوي والبارات المؤذن بقلة الثبات ، — فهذه الامور كلها من دلائل طفولية لا تنافي الحياة الاجتماعية ولا ينافي هذا ان في النادي أفرادا تحترم مزاياهم الفاضلة ويرجى ثباتهم ومن هؤلاء نرجو تلافي كل خلل والاستعانة على ذلك بنقد الناقدين ، واطراء المادحين ، واننا لا نريد بهذا الا النصح والاصلاح والله الموفق والمعين

(خطبة الامير على العلماء في الاسكندرية)

ظفرنا بنص هذه الخطبة التي نوهت بها الجرائد في وقتها وقد ضاق هذا الجزء عن نشرها مع فوائد أخرى منها مقالة من أميل القرن التاسع عشر وقصيدة أبي طالب مشروحة ونبذة في الثورة الروسية وتقاريظ متعددة وموعدنا الجزء السادس